رواية

رحلات من البر نحو الجحيم

أيوب الماجري

رحلات من البر
نحو
الجحيم

أيوب الماجري

الكتاب: رحلات من البر نحو الجحيم

تأليف: أيوب الماجري

نوع الكتاب: رواية

التنسيق الداخلي والنشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي.

www.kotobati.com

جميع الحقوق محفوظة

الفهرس:

الإهداء..... 5
التقديم..... 6
Óscar De Los Reyes Murillo Caballero..... 7
ترجمة مقدم الرواية..... 8
رحلات في الجحيم..... 9
الجزيرة..... 11
أول يوم في الجزيرة..... 14
توم يتضامن مع القضية..... 18
أقنعة ناضجة..... 21
عالمي الشخصي..... 25
عالم ناندیني..... 26
حسن و الحياة..... 32
توم في الغيب..... 40
طوم في المحكمة..... 50

إلي ذلك الصرح العريق الذي عشقته والي بيت الشعر القيرواني الذي مازال يعودنا على تأطير الشباب وتعليمهم قواعد الشعر و العروض و القائمين عليه شكر خاص إلي السيدة جميلة الماجري و الرفيق العزيز السيد توهامي الجوادي ورفاق دربي سليم الهداجي و أيمن وصديق طفولتي عزيز

الإهداء

إلي الوردة التي ربتني

حين أرى في عينيها

شمسا تسجد

وقمرا يصلي

كل الكلمات لك

والقصيد تهيم

والعين ترى

لطيفة لم يكن اسمها عبثا

إلا تجلت في لطفها أية.

إلي جميلة قسمنا ووردة القيروان التي فاحت عبيرها التي أتمني لها الشفاء من هذا المرض الخبيث الذي استفحل في البلاد لا ربما لم تقرئي إهدائي لكن فلتعلمي أنك بسمة القسم وبلسما لكل من صفعته الدنيا تساعد كل مظلوم وتبتسم لقصائدي إلي عازفة الغيتار ومحبة الفن الرقيقة يسمين عدالي شكرا لك على دعمك المتواصل وبسمتك العطوفة أتمني لك شفاء سريع فطريق الفن والإبداع ينتظرنا

التقديم

Una de las bellezas de esta interesante narrativa es que el escritor no tiene más de 17 años, y esta novela es para grupos de su edad y un poco mayores, ya que usa su amplia imaginación poética para construir temas importantes que padece nuestro mundo contemporáneo y es el tema del principio cambiante como el narrador aquí critica y considera fuertemente este acto. Contrariamente a las buenas costumbres, nos encontramos con los héroes de esta novela, Tom y Nandini, y Hassan, víctimas de estas situaciones cambiantes, ya que sufrirán la amargura de las pruebas y el castigo de los ángeles, especialmente Tom, que será exiliado al mundo de lo invisible y se encontrará aquí con Sorel, por lo que el protagonista nos cuenta el mundo de lo invisible idéntico al mundo real de fumar y las manifestaciones de corrupción y soborno en el que vivimos. Entonces, el narrador aquí quita a los santos ángeles de nuestro pensamiento y mente y los representa para nosotros en una divertida caricatura, utilizando por estupidez o referencias indirectas en las que critica a la sociedad y a los que ocupan altos cargos. Lo sorprendente es que los métodos utilizados por el narrador no son para nada familiares, como el diálogo

del escritor con sus héroes y su rebelión contra él, haciendo del lector el único testigo. Por todos estos problemas, especialmente un encuentro entre dos religiones diferentes, islámica y cristiana, con una debilidad en la fe, que resultó en un fracaso en la prueba y en todo el eje. Mi hermano, sobre el que gira el tema, y esto es lo que a todos nos sorprende de él. Es la inteligencia y la audacia de las habilidades lingüísticas y el alcance de la imaginación del narrador y su escritor, y esto es lo que la convierte en una de las mejores novelas que he leído.

Óscar De Los Reyes Murillo Caballero

ترجمة مقدم الرواية

من مواطن الجمال في هذه الرواية الشيقة هوا أن الكاتب لم يتجاوز ١٧ سنة كما أن هذه الرواية للفئات التي من عمره و أكبر قليلا حيث يستعمل خياله الشعري الواسع لبناء مواضيع مهمة يعانيها عالمنا المعاصر وهوا قضية المبدأ المتغير حيث أن الراوي هنا ينقد و بشدة هذا الفعل ويعتبره مناف للأخلاق الحميدة فنجد أبطال هذه الرواية توم ونانديني وحسن ضحايا هذه المواقف المتغيرة حيث سيعانون من مرارة الاختبار وعقوبة الملائكة وخاصة توم الذي سينفى إلي عالم الغيب ويقابل هنا سوريل فيحاكي لنا بطل الرواية عالم الغيب مطابقا للعالم الواقعي الذي نعيش فيه ومظاهر الفساد الموجودة فيه كالرشوة و التدخين فيزيح الراوي هنا عن قدسية الملائكة في أفكارنا وأذهاننا ويصورهم لنا بصورة كاريكاتورية مضحكة مستعملا عبر غباء توم إشارات غير مباشر ينقد فيها المجتمع و أصحاب المناصب العليا والمذهل في الأمر أن الأساليب التي استعملها الراوي غير مألوفة أبدا كحوار الكاتب مع أبطاله وتمردهم عليه وجعل القارئ هوا الشاهد الوحيد لكل تلك المشاكل و خاصة اجتماع بين ديانتين مختلفتين الإسلامية و المسيحية مع ضعف في الإيمان مما ترتب فشلا في الاختبار والمحور الفلسفي الذي يدور عليه الموضوع وهذا ما نستغربه جميعا وهوا مدى ذكاء و عظمة المهارات اللغوية ومدي شساعة خيال الراوية و كاتبها وهذا ما يجعلها من افضل الروايات التي قرأتها

رحلات في الجحيم

اليوم هو زفاف أختي بريليتا من رجل الأعمال الغني ماركوس ديفنرو فقرر أن يقام حفل الزفاف وسط البحر استعدنا لهذه المناسبة كما يجب ركب كل منا السفينة وطفقنا نسلم على المدعوين اخذ كل من الخدم يوزع المشروب و المرطبات كان الطعام لذيذا رغم أني لم أتذوقه وإذ بسفينة تنطلق أما المدعوون منهم من يلتقط الصور و يرقص و هناك من أصيب بدوار البحر و الكل في فرح عارم فما أجمل السعادة إنها تزود الإنسان بالقوة الخارقة لمجابهة الحياة كان هناك شيئان أعجباني في خذا المحفل المائي أولها عرس شقيقتي الغالية فبسمتها تجعلني اقبل على الحياة بنهم وثانيها وجود نانديني الطفلة التي أحبها وكم أتمنى أن تكون زوجتي وكيف ذلك وأنا لم ابلغ سن الرشد وكيف تقبل وأنا اكبر منها بأشهر ولا ننسى أن والدها يرفض أن أكون بجانبها بسبب كرهه الشديد لي لأني تسببت في كسر زجاج نافذته هذا أمر سخيف فعلا توسلت إليه طالبا العفو و السماح لكنه رفض مدعيا أن زجاجه باهظ الثمن انه شخص متعجرف وبخيل دائما ما يفتخر بأشيائه الثمينة قسما لو لم يكن والد زوجتي المستقبلية لجعلته أضحوكة المدينة وفجأة إذ بيد ناعمة تمسكني قاطعة تأملي التفت إذ بها نانديني تطلب مني الرقص معها قبلت العرض المغري رغم احمرار وجهي من الخجل ولما أمسكت بيدها أحسست بتيار قوي يلسعني يا ترى هل هذا ما يسمى الحب شرعنا في الرقص مستمتعين بدقائق العشق الأخيرة وفجأة إذ بعاصفة هوجاء تأتي من بعيد لتقاطع صفوا سعادتي ذعر الحاضرون حتى السفينة راحت تتأرجح وتتمايل فقام القبطان بتهدئتي خواطرنا داعيا إلينا بالتحلي بالصبر عائدا إلى غرفة القيادة لعله يستطيع تغيير مسار السفينة وما هي إلا لحظات حتى عم الضباب و تهاطلت الأمطار وزمجر الرعد فأصيب الربان بصاعقة فسقط صريعا ورضخ الجميع للقدر أدرك كل واحد منهم أن موت ينتظرهم فمنهم من يعتذر لمن أساء إليهم ومنهم من يدعوا مريم العذراء أن تساعدهم وهناك من اتخذ ركنا من السفينة منتظرين الوحش الملائكي أما أنا فعاجز أي عجز أرى المصيبة التي حلت بنا وأنا مكتوف العقل العاصفة ضيف

ثقيل لم يرغب بالمغادرة يصاحبه عزرائيل حتى نانديني نفسها تبكي أحسست عندها بالذوبان فانا لا احتمل رؤيتها وهي في هذه الحالة قررت تسلم زمام الأمور محاولا تهدئة الحاضرين فلم يعيروني اهتماما ومنهم من اتهمني بالجنون معلنين انه مظهر من مظاهر نهاية العالم قامت نانديني من مكانها ملبية النداء شرعت في مساعدتي دخلنا غرفة القيادة لما أدرنا المقود إلى اليسار اصطدمت بصخرة مسننة ثقبت السفينة وبدأت بالغرق لم اقدر على الحراك ها أنا أشاهد موت أفراد عائلتي أمام عيني وأنا غير قادر على فعل شيء غير المشاهدة أحسست بإحباط كبير هممت بالقفز لأذهب إلى المكان الذي لا ادري هل سيكونون فيه إلى أن شعرت بيد نانديني تصدني نظرت لي نظرت عتاب وقالت هل أنت مجنون ما لذي ستجنيه من الموت أنا أيضا شهدت موت عائلتي لكني لم استسلم لم اشعر باليأس و الإحباط لأني اعلم أنهم سيكونون في مكان أكثر أمانا وسلام علينا النجاة خذ هذه البزة إنها طريقنا لنجاة شعرت بقليل من الطمأنينة والهدوء حدث ما لم يكن بالحسبان بدأت السفينة فجأة بالدوران الم تكن قريبة من الغرق يا ويلي إنها موجة هائلة علينا القفز بسرعة فتراءى لي شريط حياتي أمام عيني لكن نانديني أفاقت غفوتي بكلمة هل تجيد السباحة أجبتها قليلا ردت علينا القفز فعلت ما طلبت وأحسست بتيار الحب يعود من جديد لكنها قاطعت هذا الإحساس الشهي بقولها اعلم إن لم نستطع النجاة فانا أتشرف بمعرفة أخ مثلك كسرت هذه الكلمة قيود العشق وأبعدت المسافة بيننا أجبتها بغضب أتمني أن أموت وأكون طعاما للقروش على أن اسمع هذه الكلمة من جديد قفزنا وكل أملنا في النجاة و العودة ومن هنا بدأت مغامرتي مع نانديني

الجزيرة

كانت حادثة غرق السفينة من أبشع اللحظات التي عشتها إذ لم تتم فرحة أختي حتى فاجئها قطار الموت معلنا بداية الرحلة إلى الحياة الثانية التي ستلتقي فيها بكل من تعرفه وهم لا يعرفونها هذه الحياة التي أردتها ولكن القطار فر مستعجلا مدعيا بكمال البقاع صديقي حرمتني من لذة الحياة الآخرة كما حرمت حواء ادم من الجنة أفقت على وقع خطى البحر في راسي و الصداع يراودني حتى ملابسي التي اكتريتها تبللت واتسخت التفت ورائي فأرى نفسي في جنة الأرض سعدت بذلك غنية ورقصت لكن ما اخذ حيرتي خلو الجنة من الناس أو المسلمين كالعرب وخاصة عدم وجود نانديني ترى هل ذهبت للنار هل عاقبها الله لأنها ارتكبت العديد من الحسنات الفقراء أمثالنا نساعد من أتعس منا حظا ونحظى بالعذاب ونؤخذ لجهنم هدية أهذه عدالتك يا ألاهي كل تلك الأحداث مرة عليا مرور الكرام و دون أن اشعر إذا بي نانديني تنظر إلي أسرعت إليها احتضنتها قائلا افرحي يا نانديني نحن في النعيم لكن أين المسلمون

صفعتني بقوة وقالت:

– أيها الأحمق أي نعيم نحن لم نمت حتى.

أخذت حرارتي بالانخفاض وقدمي ترتعش كأنها ترقص رقصة مجهولة المعنى كادت وقتها أن تنزل دمعة أوقفتها ليس منم الرجولة أن تبكي أمام امرأة وخاصة إذا كانت من تحب قلت لها بصوت غالبته الرعشة:

– ا....ي...ن...نحن....ا...ذ...ن.

أجابت:

– نحن في الجحيم يا مغفل

صعقت وإذ بدمائي تذوب في عروقي وتأخذ منحا أخر طفقت أصارع الرمال ساخطا على حالي يا مريم العذراء ارحميني ماذا فعلت في حياتي كي ألاقي هذه النهاية كنت احبك و أحب سيدنا المسيح في دراستي أضع صورته وهو مصلوب فاقبله وأدعو له لم أتخلف يوما في

صلاتي حتى في مجالس الذكر كنت موجودا لم ارتكب خطيئة سوى أنني حطمت نافذة جاري الأحمق عليه اللعنة أأقيم أنا في الجحيم بينما هو مع مئات النساء أهذه عدالة السماء.

كانت الصفعة الثانية رغم قوتها بدا لها مذاق أخر كأنه لوم أو شيء من هذا القبيل لذا من أفضل لي أن التزم بالصمت فردت:

- **نحن لسنا في الجحيم بل في جزيرة نائية ليست فيها إلا أنا وأنت و الرمال وهذا الأمر يخيفني.**
- **إن كان هذا أمرا مخيف لم تركتني أحيا**
- **كنت أظن أننا لن ننجو**
- **إذن ها نحن أحياء**
- **نعم**
- **ماذا تريد مني أن أذهب لأموت**
- **لا**
- **الم تقولي إن البقاء مع بعضنا أمر مخيف**
- **لا تكترث لكلامي اصمت فحسب.**

وككل الرجال تاستهويه رغبات وشهوات أردت التودد إليها قائلا:

- **نانديني هل تتذكر يوم أحضرت لك وردة حمراء جميلة.**
- **نعم تلك الوردة التي سرقتها من حديقة والدي**
- **لما تحبين دوما إفساد الأشياء**
- **إنني أقول الحقيقة**
- **حسنا و يوم أهديت لك كلبا جميلا**
- **هذا الكلب اللطيف الذي أحظرته من الملجأ لقد غمرني وقتها بلطفه وبسببه نقلت إلى المستشفى بسبب عضه لي**

باءت جل محاولاتي بالفشل للتقرب منها فعلمت ما يدور في عقلي الصغير وقالت عندها وهل تتذكر يوم كتبت لي قصيدة وقرأتها لأصدقائي.

– نعم

وقتها أحسست بإحساس نحوك

– حقا

– هل تعرف هذا الإحساس

– هل هو ال.. .

فجأة إذ بمجموعة ذئاب تتقدم نحونا فاختبأت نانديني ورائي خائفة تنتظر موقفا بطوليا مني تقدمت منهم قائلا يا معشر الذئاب أنا اعرف لغتكم وما أنا إلا ذئب مثلكم لذا فليتقدم أشجع واحد منكم أو ستندمون كشرت الذئاب عن أنيابها واستعدت للهجوم يبدو أن المسلسل الكرتوني الذي شاهدته لم يفد في شيء لذلك تنطلق المرحلة الثانية وهي القتال شرعت أهاجم ركلا ضربا رقصا شمالا جنوبا شرقا غربا وأنا اتبع جميع الوسائل و الحركات القتالية التي تعلمتها من التلفاز أخذت المباراة تشتد وأنا في كامل قوتي أحس بأنني أترشف كاس النصر

وإذ بصوت يوقفني بقوله توم ... توم أفق يا كسول لقد جاءت بنا الأقدار إلى جزيرة غريبة يبدو من منظرها أنها خالية من السكان أفق

أول يوم في الجزيرة

أفقت من حلمي على صوت نانديني وهي توقظني يا لحظي البائس كنت سأحظى بقبلة منها بعد قتل الذئاب التفت إليها لأستفسر منها اكتفت بالنظر إلي الأمام كان رأسي يؤلمني لم استطع خانني بعد عشرة طويلة تحاملت عليه لا اعرف ويا ليني لم انظر كانت الكلمات تخونني عن التعبير أردت أن اعبر عن حبي لها و اليوم تقبع الجزيرة لتكون صلب حديثنا ومحور اهتمامنا ورغم وسعها تتراء لنا صغيرة لا يوجد اثر للحياة فيها سوى نحن الاثنين كيف ستتحمل الجزيرة رؤيتنا إذ نحن لا نتحمل الوقوف عليها هل سننجح في التواصل معها أم الأيام ستكون قافلة حياتنا الأبدية كل الأفكار تتصارع لتتضح الصورة لذلك عذرا صديقي القارئ و صديقي الكاتب مخترع قصتي ومطرز ألامي وكاتبي الأمين أنا لا استطيع أن اتبع المنوال الذي تريده فقد طفقت صورة نانديني على تلك الأفكار و أخرجتها فتعبث بأفكاري وتعزف على أوتاري نغمتا من نغمات العبث الجميل بعد صراع دام مع الموقف الراهن وصورة الحبيبة قررت مداعبة أوتار عشقها ونشأة سنفونيتى بادرتها بالحديث لكن العوامل قطعت كلامي بصوت مخيف نظرت إلى نانديني نفت أنها مفتعلة هذا الصوت أترى اهو زلزال التفت يمينا يسارا إنها معدتي هي مرتكبة تلك المعصية شرعنا نبحث عن أي شيء صالح للأكل كانت الجزيرة واسعة لم نجد فيها سوى شجيرات تحمل جوز الهند رغم علوها رغبتنا في الغذاء طغت على مخاوفنا أخذت أقذف بالحجارة لعلها تسقط لكنها لم تتحرك تسلقت لكن كلما انظر إلى الأسفل أتخيل نفسي في أعلى قمة على سطح الأرض فأعود أدراجي مرت

الدقائق وأنا و ناندیني و الشجرة في حالة یرثى لها فانفجرت صارخا أیتها العینة أتعلمین أنك قمت بأكبر المعاصي في حیاتك وهى ترك حبیبتي جائعة وصد ما حلل به الرب لذلك سأنزل علیك أكبر عقوبة في حیاتك وهو أن أدعو مریم العذراء بأن لا یكون لك نسل في هذه الحیاة الفانیة وفجأة قاطعة ناندیني حدیثنا المثیر قائلتا:

– أیها الأحمق ألهذه الدرجة سقط عقلك فأصبحت تتحدث مع الشجر.

نظرت إلى الشجرة وقالت تعلم ركلت الشجرة فأحست بألم كبیر و الشيء الجید أن الثمرة سقطت لكن على رأس توم وانطلق في سبات طویل لا ندرى متى یفیق منها بقیت ناندیني بمفردها ماذا تفعل وكأنها في موعد لیس فیه سوى اللیل و نغمات البحر و تلك الجوزه الملقاة فوق رأس النائم أخذت الفاكهة قامت بتقشیرها لم تستطع حاولت التهامها هكذا فألمها ضرسها قامت بكل المجهدات التي توجت بالفشل كانت فلسفة صلابة الجوزة أقوى من رغبة ناندیني في الحیاة فلم یكن منها إلا أن رمت جوزه الهند ومضت في إیقاظ توم المسكین وفجأة ظهر جسم غریب وسرق الجوزة التفت معها لم یسع القیام بشيء فنحن بعیدون كل البعد عن الصراع صرخت ناندیني وخوفها انتقل لصدیقها النائم الذي أفاق بدوره مذعورا الذي لم یكن له خیار سوى اللحاق بالحیوان فوجدوا أنفسهم أمام كهف یضيء داخله لا تسمع فیه إلا الأصوات المجهولة ارتعدت فرائسنا وخاصة ناندیني التي طلبت من توم الدخول أما أنا فكنت أشاهد عن كثب دخل توم وكان من أكثر الناس جبنا یتقدم خطوتین وینظر إلى الخلف نظرت رجولة كي یتباهى أمام حبیبته لكن سرعان ما یتملكه الخوف فیعود أدراجه

وبعد أخذ ورد قرروا الدخول إلى سویا توقف الصوت نظرت ناندیني إلى الجدران متفحصة الرسوم كتابات بلغة غیر مفهومة لكنها تدل على الحیاة ارتخت أعصابها وأحست بنوع من الطمأنینة دخلنا وما راعنا إلا وجود طفل صغیر و أخر مریض كانت نظرات الطفل المصوبة إلینا كسراب تائه التفت توم إلى الشاب المصاب قائلا نحن مثلكم ضائعون في الجزیرة هل انتم كذلك سقطتم في سفینة عرس على اثر العاصفة نظر إلینا الجریح وأمر الطفل بنظرات تدل على حضور شيء ما وإذ به كتاب ما أجمله خطوطه من ذهب فتح الكتاب إذ

به أبيات شعر أو نص لكنني لم أفهم هذه اللغة كأنها لغة أناس قد جار عليهم الأمد تعمقت نانديني في الإمعان وقالتك

– إنها لغة عربية اااه إذا هذا هو القرءان أي إنكم مسلمون.

كان ذكاء نانديني لا يوصف لكنني لا أقدر على الوصف لذا سأصمت وأدع الكاتب يكشر عن أنيابه الأدبية التف عندها الشخص وأجابك

– هذا الكتاب هو رمز جنسيتي هذا كما قالت الفتاة القرءان هويتي الإسلامية أنا حسن من فلسطين وهذا أخي هاشم لقد هربنا من الطغاة التي كانت تلاحقنا وتفتك أراضينا لأرى نفسي مثلكم محبوس في جزيرة لا أدرى كيف وصلت إليها كل ما أتذكر أننا نمنا أنا وأخي في احد القوارب بسبب قصف الأعداء على بيوتنا فنجد نفسنا في هذا المكان .

كانت لحكاية حسن وقع كبير في قلب نانديني فأحست أنها غريبة نفسها لأول مرة كانت القضية و فلسطين هذه كالغز الذي تسعى نانديني لحله وفجأة نطقت بغير قصد هل نحن السبب في هذه المعاناة كان السكون يخيم على الجميع إلا توم الذي لم يسمع الحكاية من أولها كان كل تركيزه على قدر الطعام الموضوع بجانب الطفل وبدون انتباه يقول و الحديث في أوجه ليتنى الطفل الذي يأكل من القدر لأفرغت القدر تعالى الضحك إلى عنان السماء فنرى وجه بطلتنا يحمر خجلا و الغضب يتطاير من رأسها قائلة:

– يعني هذا يا توم أنك لم تسمع حكاية صديقنا ولم تركز.

أجاب عندها مرتبكا :

– أقسم يا قدري أقصد يا نانديني إنني كنت منتبه.

قطع كلام معتقدا بأن الحوار سيطول وربما ينتهي بهزيمة المسكين فقترح تناول الطعام لتخفيف حدة المشاجرة كانت نانديني خجلة في البداية و بالنسبة لصديقنا كالعادة لم ينتظر الدعوة كان أول من جلس فشعاره في الحياة كل حتى تشبع ولا تنتظر دعوة لتأكل كان الطعام رغم قلة المكونات التي فيه شهيا وإذ بتوم يتخذ موقف الجدية قائلا:

– أنا لا استطيع الأكل.

أجابت:

– و أنا مثلك ما أقسى أن تسجن هنا

– ما أصعب أن تأكل طعاما ليس فيه ملح

– تضامن معهم لا تلمهم

– أسف

– يا سيدي المسيح أكاد أموت بسببه الأول عرس أخته و الآن غبائه

–أنا لست غبي بل معتوه كما يدعوني رفاقي

– رباه ما هذه اللعنة التي حلت بى.

حقيقتا صديقي القارئ لن أجد أغبي من بطل قصتنا ظاهريا كما يريد أن يظهر للناس لكنه في أغلب الأحيان وحش مفكر وسنرى كيف سيكون له تأثير كبير في الأزمنة و الأمكنة و الأيام جواسيس مثلنا تراقب أول يوم من اكتشاف الجزيرة

توم يتضامن مع القضية

حان وقت الغروب و الموج يلملم نفسه مستعدا للسبات كانت الجزيرة بدورها تبحث عن مكان للهروب من الفراغ الذي يحيط بها و الغربان تعزف سيمفونية من الإيقاع الحزين هذا كله منذ أن تولت نانديني مهمة الطبخ زعموا أن طبخها سيئ جدا لا تقدر هي على أكله كانت كلما تعده أكون أنا أول متذوق وأدعي أنه ألذ ما أكلت ففي بعض الأحيان للتعامل مع المرأة عليك إجابتها بما تريد سماعه لمصلحتك الشخصية طبعا و الطفل مجهول الهوية كما أحب تسميته يقوم بإعانتها

ما أحلى أن تعيش في مجتمع تحكمه المرأة كما قرأت في الكتب سيأتي يوم تنهار فيه العروش الذكورية وتقام عوضا عنها مجرة أنثوية المدى نحن الرجال تحكمنا المشاعر أكثر مما نتصور لو نظرنا من منوال أخر لرأينا أن الرجال محركات جنسية تقوم على المتعة بدون النظر إلي مستوياتها وقدراتها كل هذه الأفكار أخذت تبعثر رأس توم الذي ترك همومه ومشاكله و انبرى يبحث عن وظيفة المرأة في هذه الحياة تركت توم جالسا وإذ نانديني تبحث عن حسن تحدوها الرغبة في رؤيته وسؤاله عن مكان وضع الخشب فتجده مختبئا يقوم بأشياء غريبة كأنها نوع من اليوغا كان احمد يصلي لكن أردت معرفة كيف سيتحول مسار الكلام نضرت إليه وقالت:

– ماذا تفعل يا حسن.

– أنا أصلي

– لماذا

– تقربا من الله وطمعا في رحمته لينقذنا من كل تلك الأمور

– وفلسطين أتصلي مثلك تضرعا لله و قربا منه

– وما الفرق يا نانديني

– أنت رغم ما حصل لك تتقرب إلي الله لعل فلسطين أيضا بسبب ما تعانيه تصلي

– وما يهم في الأمر لو بقينا دهرا بدعاء لن يسمعنا الله

– لم

– لا أعلم ربما مشغول عنا يوجد الملاين من الأناس الجوعى و المساكين في هذا العالم الواسع

– أيعقل أن الله يقبل الرشوة

– هههه ربما لكن لا أعتقد ذلك

– لم

– الله هوا خالق كل شيء فهو لا يستحق مثل تلك الأمور بل عكس نحن بحاجة إلي رحمته وغفرانه ربما غاضب منا لذلك لا يقبل دعائنا

– لماذا لا تدعو المسيح ليوصل شكواك إلي الله

–الذين تتحدثين عنه بشر مثلنا يأكل ويشرب ولكن الله تعالى اصطفاهم ليبلغوا الرسالة التي كلفه بها وهناك غيره طبعا

– لكن فشلوا في ذلك

– أستغفر الله كيف ذلك

– ليس هناك فلرق بين ديننا ودينكم يا حسن لدينا نفس القيم و المكاسب وكلها توصلنا للجنة ديننا يقوم على الإحسان ونحن نرى العكس وفلسطين شاهد على ذلك يقولون بأن الإسلام دين واحد وكلنا أخوة لك لا أحس بذلك أليس من المنطقي أن نكثف جهودنا من أجل عدو مشترك بدل الصراع في ما بيننا

–كلامك جميل حقا لكنك تبالغين كثيرا أتعتقدين خطابك سيحرك من شعورنا شيء أفيقي يا نانديني أنت لست في حلم بل في واقع يعيش فيه القوى ومن هم أكثر مالا وجاها أما مثلنا فيدعس كالحشرة نحن في زمن فيه الظلم مستحب أما فلسفة القوة هي الحقيقة الراسخة

– لم كل الصراع لبلدك أهي مهمة لهذه الدرجة

– نعم رغب أنها حرب لغوية فقط

– ماذا تعني بحرب لغوية

– أنت صغيرة التفكير وعقلك لا يقوى على ذلك

– كله سببك لأنك لا تستطيع التفسير جيدا

– لأكون أكثر دقة هيا حرب منتهية الصلاحية

– كيف ذلك أتقصد أنها منتهية

– بالضبط أننا نعلن حربا يقوده المثقفين فقط

– ولم لا يتأقلم العرب و اليهود مع بعضهم.

وبدون سابق إنذار قطع توم الحديث مغيرا الموضوع إلي السياق التي تناسب فكره مذكرتي الحبيبة لا أخفي عليك شيئا و أنت تعلمين ذلك جيدا وتعلمين أيضا أنني أخفي عليك بعضا صعب عليا كتابتها خجلا منك فالرابط بيني وبينك كرابطي بالجزيرة التي حبست فيها لكن الشيء الذي حير فكري هو كيف لدولة أجنبية أن تشفق علينا وهم سبب الكارثة ولم وضع الكاتب عنوان قصته توم يتضامن مع القضية ونحن نرى نانديني هي التي تتضامن مع العرب وتوم الذي كحالة الطقس مرة بوجهه المضحك و الغبي وتارة ينقلب إلي حكيم مفكر وما وسوس ذهني هو ليس لي أي دور أؤديه أو عمل أقوم بقه غير أني أسرد لكم حياتنا اليومية بينما الكاتب دخل معنا في تيار لا يسمح قوانين الكتابة بذلك حسب رأي فما جدوى إن كان الكاتب هو من يشاركنا في المعاناة بينما هو حر ويحكم علينا بالموت كل ذلك ستراه يا صديقي في فصل ما ستأخذ منعرجا أخر

أقنعة ناضجة

أنا لا أدري إن كان القارئ قد مل مني ربما يعتقد أن القصة لا معني لها أو مسدودة المعني أو ليست تلك البداية أو النهاية التي يريدها من كل قلبه أو القصة مضحكة و الشخصيات تتصرف بموقف معارض حقيقة أنا لا اعرف فانا لست بكاتب لا افعل سوى وضع الإطار الزماني و المكاني وقليلا من الأحداث أما الشخصيات فليس لي دخل بها هي تفعل ما تراه صالحا لها ولوضعها الراهن أنا لست محرك دمى أحركهم بمشيئتي وقتها أقوم بتشويش نسق حياتهم في هذا الفصل تتغير شخصيات ويبدأ الاختبار فنرى توم الذي ليس بتوم نانديني وحسن وحتى القدر هم مجرد أقنعة ناضجة حان وقت قطافها

كان الشروق احتمالا نمط الجزيرة انخفض بشكل غير متوقع كل يواسي عزلته إلا الطفل الصغير احرق مذكرته التي تعني له الكثير الوجوه عابسة حتى توم ذهب إلي الغابة يجمع بعض الفواكه بين الحشائش إذ بصوت لا يعرف صداه التفت يمينا يسارا لا أحد غير سنجاب هوا بدوره غارق في تأملاته مرتبكا ظهر ضوء يعمي العيون وسرعان ما شرع في نزوله شيئا فشيئا إلي أن التهمته الأرض لم أكن أعرف كيف أطلق الاسم المناسب لهذا المخلوق وكأنه كائن سماوي نظر نحوي وكأنه يعرفني منذ زمن طويل

قال:

– أنا عزرائيل ملك الموت.

عزرائيل الذي لا يعرف معنى الرحمة جلس بقربي قدمت له ما لذ وطاب من الغلال لكنه رفض أحضرت له كرسيا صنعته لنانديني وعندما جلس كان الكرسي غير محكم فوقع لم تكن العلاقة بيننا وطيدة أو غريبة إن صح التعبير أقدم الأشياء فيرفضها بادرته بالسؤال:

– أيقدمون لكم العصير في الجنة.

– نحن روح لا نأكل

– و أقول لم أنتم بيض من الهزال

– لقد حدثتني الملائكة عنك

– حقا وماذا قالوا

– قالوا أنك غبي و يصعب إفهامك لذلك نصحوني بأن أقبض روحك فور رؤيتك

– يا ليتني ما سئلت عزرائيل

– كيف تجرؤ قل سيد عزرائيل

– هل أنت متزوج كي أقول ذلك

– علمت أنك أحمق ويصعب إفهامك

– حسنا أنا أسف هل يمكنني سؤالك

– أسئل

– متى يموت البشر

– تقريبا بعد خمسة أيام حسب التوقيت العالمي لباب الجنة و النار

– ماذا أليس هذا قليلا وكيف أتزوج في هذا الوقت القصير

– أيها الأحمق يوم عندنا يمثل 350 سنة عندكم ربما

– وهل لي بسؤال أخر

– تفضل لكن أسرع

– متى سأتزوج نانديني

– في الحلم

– أرجوك

– وهل أنا بمنجم

– أليس من المفترض أنكم الجن و الملائكة تعلمون الخفايا كما يعلم الله

– لقد حرم المولى عز وجل أن نسمع الخفايا كي لا نخبرها للبشر

– وما سبب زيارتك المفاجئة

– وهل أنت منزعج من ذلك

– لا خذ وقتك

– لقد حملت معي أنباء جديدة

– وما هي

– خذ هذه الورقة

– وما فحواها

– هذا إنذار من مجلس الملائكة جميعا ينتظرون منكم الرد الليلة

– حسنا

– وملحوظة اقرأ الرسالة لجميع أصدقائك

– حسنا وأقرئ سلامي للمسيح

– أوصل الأمانة و لك ذلك .

الحديث مع جناح الموت بدا غامضا لم أدري ما أفعل عندها حالة أصدقائي لا تسمح لسماع مثل ذلك الحديث و السبب الرئيسي هوا أنهم لا يصدقونني ربما يعتقدون أنني مخبول بعض الشيء وهذا خطأ لكن ما حيرني هوا ما هي الأخطاء التي قمنا بها أنا أعرف ما ارتكبت لكن إخوتي بأي جرم اقترفت يداه أو ربما هوا خطأ جماعي كل تلك الأفكار تشتت أفكاري بدا لي الطريق طويلا رغم قصره وأخيرا عزمت على أن أخبرهم بكل ما كنت سأقوله لكن في الوقت المناسب

صعب عليا الكتمان فدعوتهم و الكل في حيرة وعند التأكد من وجود الجميع أخبرتهم قائلا:

– كنت أتكلم مع عزرائيل وقد سلم لي برقية.

كنت أتوقع ملامح الخوف أو التصديق فلم أجد إلا الضحك و السخرية المتواصلة أجابت نانديني:

– يا لك من مضحك يا توم تصلح للتهريج.

– أنا لا أمزح

– إذا أين الرسالة يا صادق

– إنها بجيبي.

اللعنة إن جيبي مثقوب سرعت بالبحث عن الرسالة و يا خيبة المسعى كان الوقت قد تأخر وفجأة نزل نور سماوي ساطع كما حصل معي غطى الجزيرة بأكملها السبب معلوم عندي ومجهول لغيري الأحداث تتوالى وينغلق الستار معلنا نضوج الأقنعة ظهر أمامنا ملاك في غاية

الجمال و الأناقة العيون مصوبة للزائر الغريب كأنه ملاك أو بالفعل هوا ملاك لكنه ليس عزرائيل أنا نفسي شعرت بالخوف لأول مرة أخاف من شخصية أوجدتها أنا في كتابي ربما كان الاسم حقيقيا أو أن الأمر خرج عن سلطتي لكن رغم ذلك هم شخصياتي ورفاقي وعليا مساعدتهم تقدمت بثقة ممزوجة خوفا قائلا:

- **أنا المذنب عاقبني بدلا منهم أن قاموا بأفعال سيئة فكله بسببي أنا كاتب قصتهم ومخطط أفعالهم أنا خالقهم و أتحمل مسؤوليتهم.**
- **أصمت يا أنت عقابك يوم القيامة مع الناس هم موضوع أخر يمكنك أن تقول اختبارا أنا فطرس الناطق الرسمي بسم مجلس نواب الجن و الملائكة أتيت لأخرجكم من الأرض إلي ما لا أعلم منكم سيفترق إلي عالم أو زمان أخر كل شخص منكم سيعتمد على نفسه فقط فاختباراتكم صعبة و أنت أيها الكاتب لا تتدخل حدودك الورق فقط لا تلعب دور الصديق الحنون بأمر الملائكة وجبريل ستنقسمون وما أنت إلا أقنعة ناضجة لتعرف الملائكة و القارئ حقيقتكم.**

عالمي الشخصي

لغتي أحرف تائهة كما ضاع صاحبها في متاهات قصته كنت أنوى كتابة قصة وإذ بي افتح عالما يطل على شخصيتي عبر شخصيات غيرت عالمي إلي لوحة لا أعرف رسامها أو إني تائه في بعد أخر ليس فيه إلا أنا وحكايتي و الليل كم أتمني أن يكون حلم و أعود إلي يوم جميل أشتم فيه رائحة الخبز و القهوة و لا أنسى مداعبة حصان والدي الذي نهاني دوما بعدم لمسه فانا الشقي دوما أعصي أوامره و أختبئ في حضن والدتي وملاعبة أختي الصغرى التي تبدو مشاكسة دوما فتفتعل المشاكل لتغيظني ومواجهة عقاب أمي قد تبدو حياتي مملة وبسيطة لا تجذب أنظار عزيزي القارئ لكنها تعجبني فالمال لا تبني السعادة و البساطة تخلق الجمال هذه حياتي يا قارئي قد أكون أثرثر أو اخفي عنكم شيئا وهذا صحيح ربما تسألونني لم أماطل و الحقيقة أنني احمل لكم أنباء ربما تزعجكم وهوا أنني لن استطيع الدخول مع الشخصيات وخوض مغامرات معهم لان كل واحد فيهم قد اندثر إلي زمان ومكان بعيدين جدا عن هنا بعد يحارب فيه عن فكره وقضيته وتسقط الأقنعة ربما يكون خلاصي في نهاية القصة هذا لأنني مثلكم عالق لن استطيع الخروج فلا ضرورة لتدخل الكاتب في مثل تلك الأشياء التافهة ما أستطيع قوله هوا أن الكاتب لا يحب من قصته أن تكون مصدر ثروة أو للغاية المادية بل هدفه هو أن يكتب تاريخا خالدا يجعله لا يموت أنا المبتدئ الصغير على حدود الفاصلة و الزمن واقف انتظر احد العابرين أشاركه الحديث عن معانات الشعوب المتكررة يكون لي خير رفيق لا يمل محادثتي ولا أمل من قراءته انه جليسي الكتاب

عالم نانديني

كانت ليلة الأمس من أسوء الليالي التي مررت بها في حياتي واقعتي لا تكاد تصدق أو يقبلها العقل كل منا سلك عالمه ويحارب المجهول أسئلت ملئت ذهني ليحتل السؤال الأول مرتبة شكي ما هوا الامتحان أو الذنب الذي نؤمن به مكان غريب كأني في ارض و الزمن التطور فيه متوقف عقاربها أم جعلتني أسيرتها كلها خراب ترى أهذه فلسطين التي يتحدث عنها العرب لآلا أعتقد ذلك كل ارض العرب مدمرة حتى قيمهم لذا يصعب معرفة المكان إيقاع الرصاص هوا الوحيد الذي يطغي على المشهد وصوت الله اكبر لا اله إلا الله محمد رسول الله يمازج صوت الرصاص إنها هيا أنا متأكدة إنها فلسطين الحبيبة يا زهرة ضاعت وتاه بستانها يا من اجتثت من عروقها لتجد نفسها وحيدة في تربة مقدسة أجار عليك الدهر أم نحن لدهر كبرنا وكبرت وحشتنا دخلنا في حرب مع الزمن لنجد أنفسنا نائمين تحت شجرة التين المقدسة

أنا هكذا إذ بيد رقيقة ترتعش وتلتف حول عنقي هيا فتاة في عمر الزهور تائهة في الركام لا تدري أي حطام هوا منزلها سألتها فهربت قمت بملاحقتها أنا اجري والطريق طويل لا ينتهي

****

دخلت إلي منزل مهجور يتداعى لسقوط توارى نفسها عن الأنظار خطوتين أجد نفسي وسط المنزل هناك غرف أو نصف غرف تسمع من أنين جدرانها حكاية يمزجها بكاء الصغيرة التي تقلد دور الأم التي تحمي صغارها فتهدي ثديها الصغير لآخوها المولود حديثا تأكل قطعة خبز ملقى لا يعرف مصدره كله يهون لإرضاع المولود الجديد تحول قطعة الخبز لفتات وتلتهمه بروية تعتقد أنها بذلك ستخزن كمية مناسبة من الحليب لإخماد جوع الصغير فتراه يضغط على الثديين الصغيرين فتتأوه هيا سعيدة بإرضاع أخوها وإتمام مهمة أمها الناقصة خبأت الطفل طمأنتها قائلة:

– لا تخافي يا حبيبتي ما من شيء يخيف أنا أريد المساعدة.

بكلمات رقيقة ودموع غزيرة سألتني:

– عدوة أنت أم صديق؟.

– حالي مثلك لما لا نتقاسم أوجاعنا

– في بلدي لا نتقاسم الكلام بل الموت وكثيرا من الدماء

– لا تقولي هذا يا عزيزتي سيأتي اليوم الذي تنفتح فيه أبواب السلام و الفرح وتستقل البلاد

– حسنا ربني لا يخيب رجائي لقد نسيتم أن لكم إخوة يعانون بينما انغمستم في ملذات الدنيا ربي يرى ويعلم أننا نتشرد كل يوم فحسبيا الله ممن ظلمونا وقتلونا.

لم أجد مجالا للحديث كانت حجتها دامغة وددت أن ابكي أو اخفي رأسي في التراب كما تفعل النعامة خجلا من صبية تعودت أن تلعب بدمى وتتناول الحلوى وتنام في السرير بينما تلك الفتاة ما ذنبها ألهذه الدرجة نحن مختلفون يا سيدي الكاتب أينما كنت و أنت سيدي القارئ اشهدوا على كلامي الشباب الفلسطيني لا يريد فينا قصص أو معانات يريدون فعلا أن تقف كل الشعوب العربية وقفت الرجل الواحد لمحاربة عدو مشترك وهوا الكيان الصهيوني نحن نريد أفعال لا أقوال فلو سألتموني عن سبب أزمة العالم العربي لقلت العرب نفسهم فرغم الحدود أو المسافات التي تقربهم من بعضهم فإنهم يجحدون بعضهم وينكرون أصلهم ولا يعترفون إلا بأنفسهم فنرى كل بلد يحارب مشاكله دون النظر إلي مشاكل من حوله ترانا نحاول حل مشاكل الغذاء و الفقر بينما إخواننا الفلسطينيون جائع ويشرد

بدا لي الأمر غير منطقي لذا أردت معرفة إجابة أمل إلي أن أجدها قد اختفت مرة أخرى

شرعت أمل تريني منزلها المحطم لكن كان في خاطري موضوع الطفل الصغير الذي تركته وكأنها أدركت ما كنت بصدد قوله فردت الله يحفظ عباده فلا تقلقي ثم أضافت هذه غرفة الجلوس عذرا ما بقي من تلك الغرفة لا يوجد فيها إلا ركام وتراب وأفضل شيء فيها الأريكة التي اشتراه أبي لكن مات قبل أن يجلس عليها كان دوما يقول أن ثمنها باهظ ولا يجوز أن لا نعتني بها نراها الآن متآكلة لا يجلس عليها احد غير التراب وهذه غرفة الألعاب المفضلة لدى ما غادرتها يوما أبيت فيها أحيانا أصبحت غريبة عني لم تعرفني مطلقا كأننا في عالم أخر ومن هناك استرجعت حديثي مع الملائكة حيث قال بأن كل واحد فينا سيفرق إلي زمان أو مكان لينال العبرة

لكن ما لعبرة التي سأجنيها هنا وأنا أعلم صاحب الحق هنا وأعلم من الظالم ومن المظلوم وأين باقي الأصدقاء يا ترى في أي موج قد أبحرتم وأي فائدة سأتعلمها غير الجوع و الألم كثير من

المشاعر تعتريني وكثيرا من الغموض مزال مجهولا أي باب يا ترى يؤدي إلي مسلك الحرية و الخلود

كاد الجوع يمزق أحشائي فسألته:

– ألا يوجد بائع قريب من هنا ؟.

ضحكت الفتاة حتى سقطت من مكانها فأجابت:

– كيف لمكان كهذا تجدي فيه الأكل و الشرب أتعتقدين نفسك سائحة.

شعرت بالأسى و الحزن وددت لو تنزل الدموع وتفرغ ما في قلبي كيف يحصل هذا لي وأنا البنت المدللة لأبي وقتها تذكرت الحادثة المريرة ومكانها في قلبي شعور بالألم و الحرمان يصيبني قالت الفتاة :

– تعالي لنبحث عن ما نسد به رمقنا.

بدأت الرحلة نتجول بين الجثث و الركام وأمل التي تحدثني عن البناءات التي كانت موجودة وابتلعها التراب وأصبحت هباء منثورا وعن أقاربها ورفاقها الذين قاتلو هذا العدو واستشهدوا دفاعا عن وطنه ما ذنبهم غير أنهم أحبو ارض الرحمان ونفذوا أمره بخلافته فيها وحمايتها فلم الله ينعم علينا بالبلاء ويكرم أبناء الشياطين وفجأة خطر لناديني تساؤل وهوا أكان المسلمون يشفقون علينا ولو كنا نحن المحتلين و هم الظالمون أكانوا ليتركوا بلدنا ويرحلون بسلام ما أصعب التفكير في الأمر تبا لهذا العالم الكاسر التي تهزم فيه الطبيعة ويعيش فيه الناس بموت وبؤس شديدين الطريق لطعام مزال بعيدا والأفكار في تزايد يا ترى ما نوعية الطعام الذي سنجده وهل سيكون فاخرا

تذكرت أيام الصبا ويوم عيد ميلادي الكعكة التي تعد من أجلي وأغاني الميلاد وتوم الذي يتسلق شجرة حديقتنا ليصل لنافذتي ويخبرني بجمال شعري وأني أزداد روعة كل يوم فيقرأ لي شعر ماريوت الذي أحفظه ويخطئ في إلقائه فتحمر وجنتاه عند إصلاحي لأخطائه فيحاول تغير مجرى الحديث عبر تقديمه وردة النرجس التي أحبها والتي يقطفها أيضا من حديقة منزلي هههه لا أريد أن أخبره بذلك حتى لا يقرر الذهاب كل مرة عندما يشعر بالهزيمة اااه كم الماضي جميل أينما أذهب يحل الربيع لا أدري إن كنت أنا بنفسه أو ينتحل صفتي وقاطعتني أمل بسؤالها يبدو أن اليوم عيد مولدك صحيح

سؤال محير زعزع كياني وأصابني بذعر و الخوف أهي انس أم جان كيف عرفت عيد مولدي لسنا من نفس العائلة أو نفس المكان ابتسمت كأنها أرادت قطع حبال أفكاري فقالت:

– المشوار طويل عليك التحمل قليلا وإلا نضطر للمبيت في بعض الأماكن ونستشير مالكيها.

ثم أضافت:

– إن كان منهم أحد موجود أصلا .

الوقع على قلبي كبير جدا كم يعذبني الأمر كثيرا فتيات في عمرها يلعبون بالدمى ويبرزون أنوثتهم وجمالهم بينما هي تعاني من جبروت أعدائها يا صغيرتي لا يهم المسير أنا مستعدة للمشي حتى يومين أو ثلاثة أو ربما للأبد لكن إلي أين أمن المعقول أن اتبع من أصغر مني وتقودني إلي حيث لا أعلم ما هذا الهراء أهذه الحقيقة التي أراها بأم عيني لقد عشت مع العرب لأيام ورأيت فيهم الطيبة و الأخلاق الحميدة وتعلمت معنى التضامن ومعرفة القضية توقف المسير لا يوجد شبه بين الأماكن كأننا لم نتحرك من مكاننا لكن الملامح التي على وجه الفتاة تنفي ذلك ودموع تنزل مطرا من عينها وفجأة صرخت وهي تبكي:

– فجروه فجروه.

حاولت معرفة المقصد من ذلك لم تجب وكلماتها المتكررة بشتى الأشكال حتى دخلت في هستيريا من الجنون ووقفت عاجزة لا أدري ما أفعل إلي أن هدئت وقالت لم أتعب نفسي لا أحد سيبكي معي أو يشاركني وحدتي لقد دمروه وحولوه لركام كان هذا المسجد ملاذي الوحيد نزل المطر على هذا المكان المقدس مغير الليل الكئيب إلي فجر جميل قوة غريبة تدخل جسدي وطمأنينة تدفئني يد تربط على كتفي إذ هي فتاة لا أعرفها ارتعبت فقالت لي لا تخافي الجو بارد ادخلي ورفيقتك أيضا

اعترضت لكن أمل ألحت لأن لا مكان لنا للبقاء فيه

لم يكن البيت في حالة جيدة لحمايتنا جلسنا على الأريكة وكلنا أذان صاغية لمن سيبدأ في الحديث ولم نستطع فالخجل يسيطر علينا كنت أود سؤالها فالأحداث تكاد تقضي على عقلي لا أستطيع استيعاب ما يحدث أأنا في الواقع أم خيال

لنرتب الأحداث سيدي القارئ كنت في حفل زفاف وبعدها في جزيرة ومن ثم سحبت إلي هنا أليس ذلك غريب

لم تستطع عيني انتظار إجابة القارئ لذا نمت في سلام وهدوء

****

بان الصباح على غير عادة نهضنا كأننا جرذان تحت الركام نبحث عن المجهول وما تخبأه لنا الأيام

زغاريد تتوالي والتكبير يرتفع كادت عقولنا تطير سألنا فأجابنا أحد الأطفال:

- انه اليوم الموعود بعد عناء طويل فتحت عيوننا على يوم الفرح المطلق انه أول انتصار اعترف به التاريخ من بؤرة المعانات والنضال تفتح أول وردة عربية إنها أيقونة المتوسط تونس الخضراء استقلت وأخرجت المستعمر عن أعقابه واليوم ستخرج فلسطين وتغير الحاضر المريع إلي مستقبل زاهر.

فجأة اختلط التكبير بالرصاص انه المستعمر جاء لنهب فرحتنا هرب البعض والبعض الأخر دروع بشرية لحماية النساء و الأطفال و الرصاص من كل صوب إلي أن قبض علينا ضرب وشتم لم أعد قادرة على الرؤية إن أخبرتهم بجنسيتي سيطلقون سراحي و أصبح بغير قضية وان مت فلن تصبح لي قضية أدافع عنها المسدسات فوق رؤوسنا وقتها تجمد الدم ي عروقي لم أعد قادرة على التنفس نضر إلينا ضاحكا مرحبا أعزائي الصغار سنلعب لعبة تحدد مصائركم حرة أو هلاك لنبدأ

توجه سفير الموت إلي أمل ابتسمت كأن الموت صديقها فقالت:

- حسبي الله ونعم الوكيل لا حول ولا قوة إلا لله اللهم دمر بيوتهم وأوقف نسلهم نحن السباقون وهم اللاحقون أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله .

لمحتها جثة هامدة كنت الوحيدة التي صرخت من هول ما رأيت و الباقون مبتسمون كأنهم ينتظرون هذا اليوم بفارغ الصبر جثث تسقط والخوف يزعزع كياني حتى خلت أن كل الجثث المبتسمة تبتسم وتنتظر قدومي أخرجوني من هنا لم أعد أطيق هذا المكان كيف يستطعون العيش هكذا رغم معرفتي بأصحاب الحق إلا أن الحياة أهم من معرفة شيء يعرفه الكثيرون أنا لست مسلمة أخرجوني من هنا

فجأة بدت كل الأشياء تزول من أمامي الحطام و البنايات حتى الجثث حتى الألوان زالت وبقيت أنا رسمه وحيدة تائهة وسط اللون الأبيض بلا إطار وصوت أمل يقول:

– حبيبتي نانديني لقد ولدنا كلنا من أجل الموت .

حسن و الحياة

لم أجد في رحلتي البعيدة أنيسا غير حذائي فقد كان يحملني رغما عنه وأنا في الحقيقة قد قصرت في حقه أنا لا أساعده رغما ما لقيت من إرهاق لذا أبقى مدينا له وذات عشية قررت النزول عند رغبته الملحة بأن أحمله قليلا كان مرهقا حملته بين ذراعي وقبلته حقا كم أن المسافة طويلة والحياة فانية لا أدري لم يتعلق الناس بها ويعتبرونها بمثابة المعجزة الربانية العظمى أو القوة التي لا تنتهي فأين المفر من هذه القوة لم هذا السؤال ربما لأنني جائع أو ربما الحذاء يفكر عوضا عني أسف يا صديقي القارئ قد تخال نفسك تقابل شخصية مجنونة أو غير عقلية وهذا خاطئ كليا رغم نفي بعيدا إلا أني مازلت وسط الإطار الذي يقسمه الكاتب لي أنا أجده مسل نوعا ما فطريقته في التحدث مع أبطال قصته تجعلك تنقاد إليه انقيادا فهو خالق مغامراتي وصانعها بطريقة مختلفة عن الآخرين وهذا ما يجعله مميزا عن الآخرين أو ربما تعتبرونه أسلوبا فاشلا من راوي هاو لا يدرك قيمة الكتابة وقيمة الحياة حتى يهدي لنا هذي الحياة مستهزئا بشجاعتنا وقضيتنا لا يدري أننا ولدنا عراة مدمرين بينما هوا نائم علي الحرير لا يدري كم طال غيابه علينا لإكمال حكايتنا الناقصة كان كلام الحذاء منطقيا لكن ما جدوى هذا الآن فالحديث لا طائل منه هيا يا رفيقي خذ بيدي ولنشق دربنا بحثا عن الحقيقة فنحن لسنا بمرحب بنا بينهم يعتقدون أنني مجنون لا يقدرون روعتك ومكانتك أيها الصديق عقولهم لا تستطيع استيعاب فلسفتك أنت بارع في كل الاختصاصات حدثهم عما نقوم به نحن الاثنين أخبرهم كيف نحمل بعضنا ونشرب الماء وأساعدك في شربه وكيف نلعب لعبة الاختباء إلي أن أجدك مختبئا في مكانك المعتاد تحت الكثبان الرملية يا لها من ذكريات جميلة وفجأة أحسست بوخز عميق في جسدي حتى شلت أطرافي لم أقدر على النظر حتى أغمي علي وأنا أحلم بمشروب بارد وطعام لذيذ

****

إن الإبرة مهدئة بالفعل ومسكنة لثرثرتي التي لا تنتهي أفقت على وقع خطى ثقيلة بعثرت نومي وإذ بها امرأة جميلة تحمل بيدها مطهرا للجروح إنها أية في الجمال و الرقة احمرت وجنتي

كمن نال قبلة غرامية ودق قلبي ثائرا يريد الخروج و الارتماء بين نهديها الذين يبرزان مدى جمالها وشبابها قالت:

– كيف حال مريضنا اليوم ؟.

أجبتها:

– أنا بخير لكن كيف أوتي بى إلي هذا المكان .

– ألا تتذكرني يا حسن أنت هنا منذ سنة

– هذا غير معقول

– أنا أقول الحقيقة لقد قتلت والدك وعندما أمسكت بك الشرطة أرسلت إلي مستشفى الأمراض العقلية كنت وقتها في حالة يرثي لها

– هذا مستحيل اسمعي سيدتي كل الحكاية اني هربت من بلدي بسبب تدهور معيشتنا حتى وجدت نفسي في جزيرة مجهولة مع أصدقاء طيبين كانوا لي سندا وفجأة نزلت ملائكة من السماء وفرقتنا أين أخي أيعقل أن فرقته هوا أيضا أخرجوني من هنا أريد البحث عن رفاقي وأخي

– كلامك غير منطقي بتاتا يبدو أن حالتك ساءت اميلي أين أنت اذهبي وأحضري بعض المسكنات .

أملي إنها ابنة تلك الجميلة يا لها من جوهرة نادرة هيا الأخرى هذا هراء أمها لا تصدقني ربما هيا من قتلتهم إنها إبليس صحت في وجهها قائلا:

– أنا لست مجنونا أيتها الطبيبة عليا الذهاب أريد أصدقائي وأخي أنت السبب سأقتلك .

أجابت بحدة:

– اخرس أنت مجنون كيف لعاقل أن يكلم حذاءه اخبرني أنت لم تستطع حتى تذكر أخوك الذي مات منذ سنين أتعلم حالتك ميئوس منها أنا أحاول أن أحسن حالتك وافتح لك أفاق جديدة لكن أنت لا تريد ذلك .

لكلماتها وقع خاص في قلبي كمن طعن بخنجر لأول مرة تهان كرامتي أأنا شخص قاس ولا أملك الرحمة ؟ أصحيح أنني هربت من بلدتي وتعرفت علي أصدقائي أكل هذا وهم ؟ أم انه

مجرد حقائق مخفية تبحث عني لأكتشفها أشعر إني في متاهة لن استطيع الخروج منها إلا بتضحية فتراني يا صاحبي أتخلى عن عائلتي لأفهم حقيقة نفسي أخبرتها بما تريد قائلا:

– أنا موافق لكن أخبريني منذ متى وأنا هنا

– أنت هنا منذ سنة

– حسنا .

أكنت في غيبوبة لتمر سنة كأنها ثواني ؟ وأخي ورفاقي لا يهم بعد الآن عليا إغلاق دفتر مذراتي وأفتح صفحة جديدة وخاصة يجب أن اكسب قلب تلك الملاك الجميلة وفجأة ظهرت أمامي وسألتني:

– أتحب المطالعة يا حسن

– نعم

– هذا رائع يا حسن يبدو أننا على وفاق .

وابتسمت ابتسامتها العذبة يا لتلك الكلمة رغم بساطتها إلا أن لها وقع خاص طرب له كياني كيف سأبوح بمشاعري تجاهها وأنا اخجل منها لا استطيع قول مثل تلك الأمور في وضعي الحالي ستخال أني مجنون واقتلها كما فعلت مع والدي وأنساها اشعر بنعاس على فقط نسيان أني أتحدث مع حذائي لقد كان رائعا بصدق حتى لو كان حلما إلا انه كان ممتعا تذكرت مرة كيف أضاع سعيد زوجته في الصحراء وقد ضللنا أياما نبحث عنها إلي أن وجدناها ممزقتا لم يعد لها أثر لقد فارقت الحياة وقتها بكى سعيد كثيرا وأقسم ألا يدخل في حياته أي حذاء مهما كان نوعه أو مقاسه وبعد موتها بأسابيع تعرف على نعل جميل وعندما أحضرها لأتعرف عليها تمزقت هي الأخرى كان مشهدا مضحكا ليتكم كنتم هناك لكن لم أنا وحيد هنا في مستشفى للأمراض العقلية أيعقل أن خلت البلاد من المجانين وبقيت أنا أم ربما أكون المجنون الوحيد في هذا العالم أو ذهبوا لقضاء عطلة الوحدة شيء سيئ فعلا ليس لي أحد أتجاذب معه أطراف الحديث ربما يغضبه كلامي فنتجادل ونغلق ستار اللغة ونعود كما كنا فهو يعرف أننا الوحيدان هنا وان غضبنا لن يدوم طويلا وفجأة أطفئت الأنوار وفتحت النوافذ بقوة وتسرب منها الريح بخفة و الرعشة في كامل جسدي الأبواب في حركة غاضبة تريد التحرر من سجنها الأبدي كمن هاج في وسط الهدوء تفتح وتغلق بتلقائية وضل في وسط الظلام يتسلل

نحوي يقترب, يقترب ومازال يقترب كان المشهد مرعبا للغاية والعرق يتصبب من جبيني دون علمي لا ألومه هوا الأخر خائف الظل يقترب وفجأة وقف الخيال منتصبا أمامي عاد النور إنها جميلتي اميلي اعتذرت بأن النور انقطع بسبب شدة الرياح مقدمة لي الطعام كان المشهد ظريفا أخبرتها قائلا:

– أنا أسف على الإزعاج لقد سقطت بينما أطفئت الأنوار وأصيبت يدي اليمنى أيمكنك إطعامي ؟.

ابتسمت وكأنها أحست بمخططي فقالت:

– أنا لست طبيبة وهذه ليست من مشمولات لكن سأحضر أمي لتفحص يدك لعلها كسرت .

أجبتها:

– لا داعي يبدو أنها تحسنت لا أريد إتعابها .

فضحكت وكانت لقهقهتها معنى الانتصار لكن بي رغبة لمحادثتها فسألتها :

– أأنت كما غيرك تعتقدين أني مجنون ؟.

تغير مسار الحديث وأخذ منعرجا غير الذي تريده أردت ان أرى رأيها عني يكفني ما سمعت من اهانات من الجميع عشت حياتي مجبرا أن أكون كما حال بقية الناس أكل القمامة وأتحدث مع الأحذية لكن صدمت بإجابتها:

– أنت ككل الناس لكن السبب في ذلك هوا وحدتك لأنك لا تملك رفاق لا تقلق مادمت بجانبك فلا داعي لتلك الأقاويل .

كلام الحبيبة بلسم يداوي جراح غربتي هذه الجملة التي كنت انتظرها منذ بدايتي رحلتي الغريبة إذ تراني أغوص في عالم من الذكريات إلي أن أسرني الماضي الذي دعوت الله نسياني له عائلتي منزلي مدرستي كل شيء ثمين لم أستطع محوها تعجبت اميلي من شرودي فسألت:

– لم أنت غارق في التفكير الديك مشاكل ؟.

أجبتها:

– الإنسان مفكر بطبعه ليس من الضار أن تكون لي أسباب تدفعني لتفكير .

كانت فلسفة موفقة وهذا يثبت كبير وعشق اكبر خجلت وكانت نبرتها تدل على رقة وعذوبة أحسست بتيار كبير زاد في معاناتي إلي أن دخلت أمها مفسدتا جو الحديث الذي دار بيننا

*****

بعد مدة من الزمن شعرت بأني في طريقي لشفاء تغيرت حالتي كثيرا وعدت إلي سابق عهدي كأنني ولدت من جديد بالإضافة إلي عديد الأحداث التي واجهها في حياتي عادت إلي الاستقرار مللت من مكوثي ليس لي داع للبقاء غير ايميلي ذهبت للبحث عنها وبعد عناء وجدتها في غرفتها أغلقت الباب كي لا تفسد أمها جلستنا الغرامية جلست بجانبها فحمرت خجلا كان الحوار صعبا للغاية نصف ساعة وعيونها تنظر لصفحات قصتها النظرات هي الوحيدة التي تعبر مدى لهفة الأخر للقاء و الأيادي ترتعش تريد الوصال و الشفاه صامتة تريد الغناء وبغير استعداد فاجأتني بسؤالها:

– هل قرأت هذا الكتاب .

عاد اليأس يخيم من جديد إنها ليست الكلمة التي أبحث عنها فأجبتها:

– أنا لم أقرأ هذا الكتاب لكن طالعت العديد غيرها من الكتب .

– أتريد أن أحدثك عن فحوى القصة أنا متأكد إنها ستعجبك.

انتابني الفضول والفضول وحش كاسر ومتطفل يريد البحث في خبايا الدنيا و التطلع على أسرارها أظهرت قليلا من عدم المبالاة لكنها ألزمت عليا ذلك وقد أصرت على سماع فحوى كتابها السخيف فوافقت ممتعضا لم أكن مهتما بهذا الكتاب بقدر ما أهتم بطبيعة علاقتنا ومصيرها اتخذت مجلس الحكواتي وقالت:

– إنها قصة من أفضل ما قرأت ومن أرق ما رأت موضوعها حساس للغاية إنها مثال على العشق بين الطرفين رغم معاناتهم يضلون متعلقين بعضهم ببعض إن تلك الحكاية تذكرني بفتاة أحبت هي الأخر لكن مكان العشق مستشفى للمجانين هههه.

أكملت كلامها وهي لا تدري أثر ذلك على كم انتابني الفرح و السعادة إنها أول مرة تعترف لي فتاة بإعجابها بصورة غير مباشرة عقد لساني لم أدري ماذا أقول إلي أن أنقذتني أمها عندما فتحت باب الغرفة ووجدتني مع ابنتها كنت أتوقع من وجهها علامات الذهول او الغضب لكنها ابتسمت أمرت ابنتها بتنظيف غرفتها واستدعتني الي الغرفة المجاورة كانت كل الغرف مغلقة و العتمة هي الطاغية لا تسمع في الغرفة غير الصمت.

قالت:

– ماذا تعني هذه الغرفة لك ؟.

أجبتها:

– إنها غرفة عادية لا يوجد فيها ما يلفت النضر أو الدهشة .

كانت عيونها تظهر الحزن فقالت:

– أمتأكد ألا ترى شيء في هذه الغرفة .

كانت إجابتي نفسها فتركتني وذهبت

****

الأيام تمضي كما الساعات متثاقلة تنفض الغبار الأزلي العالق بين جوانبها فأنسج لنفسي بيتين في حضنها رغم قربها إلا أنني اشعر بالقلق الذي طالما انتشر كالوباء في أوردتي وذات مساء قررت فيه الرحيل و البحث عن مكان أخر صدتني ايميلي قائلتا:

– أتريد الرحيل؟

– نعم

– أرأيت مني السوء أو التقصير؟

– لا

– لم تريد الذهاب إذا؟

– لقد مللت لم أعد أريد المكوث أكثر مما مكثت وجدت نفسي مسجونا بين أربعة جدران وهذا ما يزيد في ألمي هذا ليس عادل لقد خلقنا الله أحرار ألا يحق لي العيش مثل بقية الناس

– أعلم ذلك لكن أرجوك ليس عليك الذهاب

– لم

– لقد أنستك ولا أريد البقاء وحيدة كما أنني وأحبك .

ما أحلى تلك الكلمة لقد كنت ابحث عنها منذ سنين كان اثر ذلك كبير جدا علي ساهمة بتلك الكلمة بخلقي وانبعاثي من جديد لم تكتفي بردعي عما كنت سأقوم به فقط بل أصبحت أتناول أدويتي بانتظام ولا ننسي نجاحي في اختبار الغرفة المظلمة وعديد النجاحات و الامتيازات التي سجلت في دفتر صراعي مع الحياة و الشكر كل الشكر لطبيبتي على

مداواتي رغم مشاكستي إلا أنها لم تفقد الأمل كما أنها رعتني واعتنت بي ولا أنسى الشكر لسيدة الشكر فالفضل كله لحبيبتي اميلي تلك الوردة الجميلة التي علقت عليها أمال ومطامح كثيرة

كانت كل شيء في حياتي شعرت اتجاهها بإحساس يدفعني إلي طلب يدها عشت حياتي وحيدا لذا لا يوجد ضرر في ذلك

******

تطورت علاقتي بحبيبتي كثيرا حتى أصبحنا نتشابه في العديد من الأشياء كالحديث في نفس الوقت و التشابه في العديد من الأفكار كما أنني أحببت من أجلها القراءة و شغفت بها ودخلنا في سلم القيم و الثقافة فأصبحت أقرأ القصص من كل الأنواع فمنها الرواية ومنها الفلسفة و أحب الأشياء إلي قلبي المسرحية وأصبحت أفقه بالسياسة أيضا وأناقش نفسي كلما أحسست أنها تخطأ في بعض الملاحم التاريخية التي غالبا ما يتناسها الزمن في الصباح الباكر شرعت ابحث عن ايميلي لم أجدها فتشت عنها لم تظهر إلي أن لاحت أمامي غرفة بدت عليها غريبة ربما لم ألاحظ وجودها قبلا فلامسني الفضول لمعرفة خفايا أسرارها جلست تحت بابها وأنا أفكر فبانت لي العديد من التساؤلات فمثلا لم لا أستطيع الخروج من هذا المستشفى

بحثت في بعض المناسبات عن المخرج فلم أجده مضت سنوات وأنا هنا و الغريب أن الطعام لا ينفد أبدا كيف تحضره وهي لا تبرح من مكانها بدا الجواب على سؤالي مستحيل شعرت بيد تلمسني انه الحذاء سألته :

– ماذا تفعل هنا؟ إن علمت الطبيبة بأمرك ستحسبني مجنونا اذهب في حال سبيلك و أتركني.

– أفق يا حسن إنها خدعة

– يكفيك هراء اكبر خدعة هو ضني أنني أكلمك

– لقد اشتقت إليك يا رفيقي هذا المكان لا يريدنا لنذهب

– ابتعد عني لا أريدك .

دخلت الطبيبة ولم تنتبه لحسن وتبعتها ابنتها فتعانقا فريحين مسرورين قائلتا:

– لقد نجحنا يا حبيبتي لقد صدق هذا المغفل خدعتنا.

قالت الفتات:

– معك حق يا أمي انه شخص ساذج كيف يتجرأ ويصدق إنني أحب شخصا أحمق ومجنون مثله .

أضافت الأم:

– اذهبي و ابحث عنه يا حبيبتي فالعالم مليء بالمجانين فما الضرر في خلق مجنون لنا .

ذهبتا وتركاني وحيدا كل تلك الأحداث كذبة يا رفيق دربي أسف يا أخي تركتك وشرعت انسج من الأوهام خيوط حقيقتي إلى أن ضاعت كلها في السراب فجأة تحول المستشفى إلي صحراء هههههه أضحك و أضرب نفسي كل تلك الأحداث سراب ؟ يا لك من ماكر أيها القدر هيا يا رفيقي لنمشي بحثا عن طريقنا ولنعد لسابق عهدنا تحملني و أحملك.

توم في الغيب

كل الرفاق تفرقوا غيري ما أقسى هذا العالم من هذا المنعرج تبرز حكاية أقنعة أخفيت لمئات السنين بدت لي القصة غير معقولة فالراوي ربما يتباهي بطفولته الباهرة أو متأثر بحلقات كونن ومن ذا يلومه أنا أيضا أحب هذا المسلسل بالأساس وبعدها يأتي ملاك يدعوني للاختبار و التوبة ويفرقنا ما هذا الهراء وأيضا لا ننسى موضوع السفينة بعضهم كتب لهم الموت و الأخر يعانون من هول الحياة من جزيرة إلي عالم لا أعرفه أين أنا بحق الله وفجأة فتحت الزنزانة وشع النور ودخل منه شخص لم أستطع النظر إليه بسبب النور المنعكس على عيني عندها فهمت كل شيء ضحكت واستنكر من ضحكتي

فقلت:

– أنت شخص متنكر بهيئة طائر أو انتظر يا ويلي انه عيد الهلوين .

بدا من نضرته المميتة واحمرار وجهه أحسست وقتها أني احرق إلي أن صرت رمادا أنزل عينه عني فعدت إلي هيئتي قال بكل اتزان:

– لقد حدثوني عنك .

تساءلت :

– حقا لم أعلم أني مشهور لهذا الحد وماذا قالوا ؟.

– لقد حدثني المجلس عنك وأخبروني انك أكثر إنسان غبي وأحمق يصعب التفاهم معه لذا اقتله فور رؤيتك

– ماذا أقالوا كل هذا عني ؟؟

– نعم

– ومن هوا المجلس ؟

– يا أحمق انه مجلس الشعب

– وهل شعب له مجلس أعتقد ان المجلس لا يتسع لكل الشعب

– أيها الغبي أتعتقد نفسك في عالمك أنت الآن في الغيب

– الغيب ؟؟

– نعم

– وهل أنت أيضا مسجون مثلي في هذا الغيب؟

– لا عذرا نسيت أن أقدم لك نفسي أنا سوريل المتحدث الرسمي باسم مجلس الشعب للملائكة كما أنني ملك من ملوك الملائكة

– أأأه لقد فهمت

–الحمد لله وماذا فهمت ؟

– أنت شخص هارب من المصحة العقلية وقد سجنت معي في سجن الغيب لكن ماذا فعلت كي أسجن ؟؟ وهل سجن الغيب خطير ؟

– أنت حقا لا طائل منك ولا منفعة أنا لم أفهم لم جبريل اصطفاك من جملة رفاقك ولم يفرقك معهم ؟

– ماذا ؟؟ رفاقي ماذا حصل لهم ؟؟ وأين هم ؟؟ ولم أنا هنا؟

– وأخيرا فتحت دماغك

– وما لذي حصل لدماغي ؟

– يا غبي ألم تسأل عن أصدقائك

– دماغي أولا

– يا رب أجرني من عذاب المجانين وقلت ذكائهم حسنا دماغك بخير فهمت الآن؟

– نعم ورفاقي؟

– ليسوا بخير

–ما لذي جرى لهم ؟

– ليس من مشمولات التحدث عن موضوعهم

–أرجوك

– لا

–سأعطيك

– ماذا تملك كي تعطيني إياه أصلا ؟

– لا شيء

– أنت لا تنفع لشيء

وجدتها بما أن هذا عالم الآخرة أي هناك تحسب الحسنات و السيئات ما رأيك لو أعطيتك بعض الحسنات مقابل معلومات عن رفاقي

– ماذا أيها المختل ألا تعلم انه في الدستور الوطني الفصل الخامس يمنع على الملائكة قبول الرشوة أثناء القيام بعمله

– وان أعطيتك 100 حسنة ؟

– عندها ليسقط الدستور .

تعالي الضحك إلي أن سمع صداه انه شخص طريف ورائع لكن شخصيته الغامضة تغير من ملامحه ازداد فضولي إلي ما أبعد سأطرح عديد الأسئلة لكن ما يخطر لبالي هم أخوتي لكن بقي السؤال الراسخ في مخيلتي لم نحن هنا ؟ وما نفع هذا كله فسألته:

– ما رأيك لو تخبرني عن سبب تعاستي أنا ورفاقي ؟.

فأجاب من فوره:

– هذا ليس من مشمولات ألا تفهم .

– ما رأيك لو جعلتها 120 حسنة

– عندها يرمي اتفاقنا عرض البحر

– حسنا أزيدك فقط 10 حسنات ولن أتراجع

– و ماذا أفعل في الفصل الثامن من الدستور الوطني الهادف إلي التحفظ المهني ؟؟

– وقتها اجعلها 200 حسنة

– ليسقط التحفظ المهني إذا هههه

–و الآن أخبرني كل ما تعرفه

– ماذا تريد أن تعرف ؟

– سبب تواجدنا هنا ؟

– لا استطيع

– ولما ؟

– وقتها لا تصبح القصة مشوقة ولن تجعل مجالا للقارئ كي يبحث ويتساءل ويلخص و يفكك هذه الأحجية كما ان كاتبك لا يريد ذلك لكن حسب ما فهمت من حديثي مع خالقك هو أن القصة انعكاس لمواقف و أراء تخمرت في فكر الكاتب فصور هذه التخمرات و المواقف عبركم

– لم أفهم ؟

– لأنك فاشل وغبي

– لا تشتم يا صاحبي وما ذنبي و أنت تتكلم بطريقة صعبة

– أخبرني بالسؤال التالي بسرعة

– مالك تسرع في السؤال مازلت لم أفهم

– وما ذنبي ؟

– أتحتال عليا وأنتم معشر الملائكة تدعون بالطهارة؟

– أصمت قبح الله وجهك أتريد أن تسمعنا الملائكة و تتسبب في طردي وقطع عيشي

– يا لك من محتال كبير

– اطرح سؤالك وبسرعة

– ما لذي حدث لأصدقائي

– حتى الآن أنا لا أدري بنتيجة الامتحان لأن الله تعالى و القارئ المبجل هم المخولون بذلك لكن حسب ما فهمت أن كل شخصية خاضت اختبارا صعب مبنية على قضايا صعبة وحساسة انتقاها كاتب الرواية

– لم افهم ؟

– لو أخذنا علي سبيل المثال أن لك إحساسا بشيء ما

– لا كنني لا أحس بشيء

– تعرف أمرا أسكت ولا تسمعني صوتك أرجوك لا أريد الموت أنا أعاني من السكر و ضغط الدم و القلب و الرعشة و الزكام و السعال و العديد من الأمراض وغبائك قد يتسبب في مقتلي لذا أصمت ودعني اريك .

طرنا أنا وسوريل في الغيب نبحث عن الحقائق تارة يريني الأماكن و يعرفني على رفاقه لم يكن الأمر مختلفا بالنسبة لي حيث كان الغيب قريبا لعالم الواقع حتى في الأبنية إلا أن من يراه يبقي أثرا واضحا على نفسه وتدب الحياة في روحه هذا ما يريك عظمة الخالق ومن خلق الغيب بإتقان عجيب وغير قابل لتصديق لكن رغم ذلك أفتقد لعالمي وعائلتي ومقهى الحي هناك حيث كنت أشاهد مباريات و ألعب مع رفاقي بالورق و الخاسر يدفع مشروب رفاقه وأنا في عالمي الخيالي الخاص إذ بدأت أتهاوي حتى سقطت على مؤخرتي كانت سقطة قوية بينما سوريل مازال يطفو وضحكاته تكاد تتلف طبلة أذني فصحت في وجهه غاضبا فغضب عليا و هددني بالقتل فتذكرت كيف قام بإحراقي بنضرة عين فقررت إرضائه لكن لم أفلح فقدمت له حسنة فعادت الأمور إلي نصابها سألته عن سبب التوقف فأخبرني بأننا ذاهبون إلي مقهى النجم لنرتاح قليلا قبلت مطلبه لكن ما حير فكري هو رؤيتي للملائكة تشرب القهوة وتدخن هذا أمر غريب وما زاد دهشتي حين دخلنا و الملائكة تصوب عيونها نحوي فطمئنني صديقي بأنهم رأوك مختلفا عنهم جاء النادل و طلب مني بلطف ماذا أريد فقلت:

– قهوة ونارجيلة .

بهت من الطلب وعادت العيون تصوب نحوي فسألني سوريل:

– ماذا طلبت ياطوم؟.

أجبته :

– قهوة وهوا مشروب ونارجيلة وهوا نوع من السجائر.

ضحك عندها لكنني لم أرغب بإغضابه كي لا يعاد نفس الحديث فقال للنادل:

– قدم لنا اثنين من طيب الجنة وزهرة .

أحس سوريل من ذهولي فقال:

– مبلغتكم يا معشر الأنس قهوتان و قارورة ماء.

أجبت:

– والنارجيلة ؟؟.

– ليست جيدة لعمرك

– عمري 20 سنة

– وأنا عمري 780 سنة ولا أدخن

– ونعم الرأي صديقي إنها مضرة لصحة .

وفجأة أخرج سوريل من جيبه علبة سجائر وراح يدخن أحسست بصدمة فقلت له:

– ألم تخبرني بأنك لا تدخن ؟.

فنفى ذلك قائلا:

– أنا لا أدخن النارجيلة بل سجائر الجنة وهي لا تحتوي على مواد ضارة بل فيها منفعة للجن لكن لا يسمح للبشر باستعمالها لأنها تقتله فورا.

كانت حجته دامغة وخاصة أنني لا أستطيع المناقشة و الإقناع فأنا غير قادر على ذلك وقتها عادت بي الذكريات إلي الماضي الجميل أيام الطفولة وقت عقابي بسبب رفاقي كانوا يفتعلون المشاكل ويلقوا التهمة أليا ويرتدوا ثوب العفة والطهارة و أنا الذي أعاقب في النهاية بسبب جمودي المتواصل و عدم القدرة على الدفاع عن نفسي ربما أعتقد أنني قادر على دفع التهم عني ولكنني أخشي غضبهم وافتراقهم عني وبذلك أصبح وحيدا أيقضني سوريل من غفوتي بقوله:

– ما بك حزين؟.

أجبته:

– لست أدري ظاهري لهو ومتعة وباطني يقول عكس ذلك كأن لي ماض قديم أخشى أن يسيطر علي .

– لا تدع شيء يزعزع ثقتك

– ما لذي أفعل ذكرياتي تجرح قلبي و لا تدعني أعيش بسلام

– نحن معشر الملائكة نختلف عنكم كثيرا نحن لا نسمح لعواطفنا أن تسيطر علينا

– أنتم عشيرة مذهلة لكن ما فائدة الحياة بدون إحساس بمرها وحلوها؟

– وما فائدة الدنيا إن كان إحساسك مصدر ذنوبك؟

– لم أفهم ؟

–اخرس أنت غبي ولا طائل منك.

بقينا في المقهى إلي أن جاء النادل قائلا:

– أتريدان شيئا أخر.

أجبنا بعلامة النفي و الامتنان فتبسم قائلا :

– الثمن رجاء.

عندها تدخل سوريل يكل فخر:

– نحن الملائكة اصطفانا الله من دون المخلوقات اظافة إلي كرمنا وطيب قلبنا لذا سأدفع أنا الثمن ولا تلح يا صديقي.

أجاب النادل بسرور:

– ثلاثون حسنة رجاء.

امتقع وجه سوريل وثارت ثائرته حتى نوره انطفأ مع هيجانه كأنه مخلوق بقرنين فقال:

– لم كل هذه الحسنات أتراني أوزع المال عن عبث أم صاحب بنك او تاجر معروف هل ازداد ثمن القهوة يا هذا أليس ب5 حسنات ما الذي حدث ليزداد ثمنه؟.

ارتبك النادل و أجاب:

– القهوة مفقودة هذه الأيام يا سيدي.

ارتعش غاضبا حتى خيل لي أن عيناه تشتعلان حقدا وأضاف:

– وما دخلي هذا ظلم كيف لشخص محترم مثلي أن يحصل على هذه الكلمات القذرة انك ترتكب إثما وذنبا كبيرين سأشتكي بك إلي المجلس الأعلى للقضاة صديقي قاض معروف هناك سأريك ما أفعل بك تدخلت لفض النزاع و النادل ينظر متأسفا على حال التي ألت إليه هذه المسألة نضر نحوي سوريل نضرتا خبيثة فأنهى النزاع و اعتذر من النادل وصوب عينه نحوى وقال:

– صديقي توماس ألم تعدني بأنك ستدفع عني إن لم أغضب .

ابتسمت وكانت الضحكة مخفية حتى لا يغضب دفعت لنادل وطلبت من سوريل أن يريني الأمكنة لكنه طلب مني أولا أن نذهب لزيارة جبريل صديقه ونائب مجلس نواب الملائكة و الناضر العام في قضيتي وافقته بمرارة و أنا في شرودي إذ أرى باب كبيرا من الذهب لم أستطع مقاومة نفسي فاندفعت إلي ذلك الباب دون أن يدركني سوريل كان الباب له إشعاع لم تره عيني من قبل وكأنه توهج لملاين الكريستالات تقدمت فلم ادري لم ألمني قلبي فجأة و

إحساس غريب ينتابني و أنا ذلك الحين أحس بعصي غليظة تهوى على ظهري سقطت على الأرض و الألم يأخذ مني مأخذه فأعاد ضربي إلي أن أحسست بالحياة تعود تدريجيا إلي جسدي العليل أدرت وجهي لمعرفة الفاعل فتبين لي أنه ملاك فقلت له:

– لم تفعل بي هكذا ؟.

سألني:

– أتريد سيجارة؟.

– يا غبي أتجد جنة بلا حارس

– أهذه الجنة؟

– نعم انه باب الجنة و أنا رضوان حارسها

– مرحبا بك سيد رضوان

– وبك أجلبك فضولك إلي هنا ؟

– نعم

– أتريد سيجارة

– لقد قيل لي بأنه مضر للإنس

– ومن الأحمق الذي قال لك هذا؟

– سوريل

– لا تسمع خرافات هذا المزعج فهو شخص بخيل وطماع يريد ان يأخذ كل شيء ولا يعطي لأحد

– هذا هوا الأمر إذا.

كانت السيجارة في غاية اللذة ومريحة للأعصاب جلسنا وكل منا يحدث الفرد عن مشاغلة ويعرف نفسه بصورة تبهر الأخر و الفضول يا سادتي ما أقبحه فقد قال لي معلمي مرة أننا نجد في الجنة كل ما تريده وتتمناه فهل سأجدي الملاهي التي حرمت منها و الحقول الجميلة و الصحاري و الحقول أو ربما أنهار من العسل و الخمر او منازل من الشكلاطة أو هواتف لم أستطع شراءها يوما وهل ستكون الجنة أكبر من العالم أفكار تلعب دور البريئة في مخيلتي و

رغبتي تصارعني فرجوته أن يجعلني أرى ما في الجنة لكنه ما لبث أن ارتعدت فرائسه وتصلبت عروقه فأخبرني قائلا:

– أجننت؟؟ انه محرم.

أجبته:

– أرجوك نضرة واحدة فقط .

– لا

– أخبرني إذا ماذا في الجنة؟

– لا أستطيع

– لما؟

– لأني لم أرى الجنة مطلقا

– رغم حراستك لها لقرون إلا أنك لا تراها

– للأسف نعم

– اليوم فرصتنا دعنا إذن نرى ما في الجنة

– أرجوك لا تضغط علي

– أخبرني كم لك وأنت تحرس الجنة؟

– حوالي ملايين السنين أو ربما أكثر

– وكم تتقاضى؟

– 500 حسنة كل شهر

– وهل تكفيك

– قليلا

–ما رأيك لو أقدم لك ألف حسنة الآن في هذه اللحظة

– حقا

– نعم

– شكرا لك يا رفيق هذا أكبر معروف تسديه

– لكن على شرط

– لا تقلي أنا أعرف ما تريد

– أنا أضمن لك انه لا يستطيع احد كشفنا فلدي خطة ممتازة

– و ما هي؟

– تفتح باب الجنة فتحة صغيرة جدا و أنا أطل بعيني

– لا أدري أشعر بأن الأمر خطير

– ما من خطر سوى أنك خائف

– أنا لست خائف

– بل ترتعد كالدجاجة

– ماذا وتتهمني بالدجاجة أيضا

– بالطبع

– سأريك إذن ماذا تفعل الدجاجة .

فتح الباب قليلا تحرك الفضول بداخلي لكن شيء منعني فلم استطع الرؤية احمرت عيناي كأن لهب في جوفها يبدو أني أهلكت رحت أصرخ وأنا أتلوى من شدة الألم ورضوان يبكي ويولول ويخبرني بأنني سأفضحه وأقطع خبز عيشه ولم أستمع إليه مطلقا وفجأة خرج نور اصفر وقتها دخل الملاك في حالة هستيرية من الخوف و الرعشة

وهو يقول:

– فضح أمري سأعاقب سأموت.

جهلت الأمر نزل الملاك وكانت هيئته مألوفة وفي نفس الوقت عادت بي الذكريات إلي وقت نزول ملاك من الجزيرة يخبرنا بموعد الاختبار نعم لقد تذكرته انه جبريل نزل من السماء وكانت له هيئة تدل على الوقار وعلو مقامه ومرتبته انه مختلف عن كل ما قابلته فقد كانت له العديد من الأجنحة لا تستطيع عدها نضر الينا

وقال:

– أنت يا رضوان لقد قمت بمعصية كبرى وهو أنك أطلعت غريبا على أسرار الجنة لولا لطف الله غز وجل لجلبتنا كلنا لتهلكة لذا باسمي واسم مجلس نواب الملائكة سنقيلك من مهمتك وبالنسبة لطوم ستعاقب في المحكمة العليا و يحق عليك أن تختار محام يدافع عن قضيتك.

طوم في المحكمة

تتوالى الذكريات من حيث لا أدري و تنهال على رأسي لتقلل مسافات عجزي و أنا لا أقدر على الحراك و الجرح يا قارئي مازال لم يندمل ماذا علي أن أفعل سؤال لم ينتظر الإجابة فتحت الزنزانة ودخل منها حارسان قادوني إلي المحكمة معصوب العين وصلنا وكانت تبتسم نورا وإشعاعها يتمايل كالقدس حين يداعبها نور الفجر الجميل أجلسوني على الكرسي وأزاحوا العصابة عني لم تكن كما تصورتها هي قاعة عادية ككل القاعات التي أراها عندما أذهب إلي المحاكم صحبة والدتي لكن يوجد اختلاف هنا حيث المكان منضم جدا وجرائمهم لا تسمى شيئا أمام أفعالنا حتى الصغار هنا و الشيوخ ينظرون بازدراء كأنهم أصحاب جرائم على نطاق عالمي كان الجميع ينظر إلي باحتقار كبير ومنهم من ضربني و الحارسان الذي أمامي لم يتحركا قيد أنملة يضحكان ويشتمان كأني قمت بقتل ألاف الملائكة وأخير سمعت النداء المآذن لدخولنا كانت القاعة جميلة وصغيرة ومكتظة بالملائكة والجن وكان ميكائيل وجبريل قاضيا محاكمتي وسوريل هوا المحامي الذي يدافع عني وعزرائل هوا محامي المحكمة بدأت الجلسة و أستدعي الشهود كان الشاهد الأول هوا نادل المقهى والقلق باد في وجهه تقدم إليه عزرائيل بخطى واثقة وقال:

– زعموا أنك كنت من قدم للمتهم القهوة مع زميلي ألم تلاحظ أي شيء غريب عنه؟.

نظر مليا كأنه يريد إشارة مني فأدرت وجهي وجوما فأجاب:

– كان يتمتم بكلام غير مفهوم لذا بدا لي الأمر غريبا وفريدا من نوعه.

تبسمت أسارير جبريل وضحكا حتى أسمع الحاضرين قهقهاته وكان هذا يزيد في اهتمام القاضيان فقال:

– أترون يا سادتي القضاة ويا أيها المستمعون ويا سيدي القارئ يتمتم بكلمات غير مفهومة ربما يكون متعاونا مع الشيطان أو سحر.

وقع الخبر كالصاعقة والكل ينسج نهاية الرحلة وقرار الحكم وهوا الإعدام المؤكد عندها تدخل سوريل غاضبا:

– إن هذا لكذب وتشويه لسمعة المتهم فكلانا نعرف يا سادتي إن المتهم رفع إلي السماء بطلب من السيد جبريل نفسه لذلك هوا يجهل قواعد عالم الغيب وكلماته ونحن علينا أن ندرك ذلك ونأخذ بعين الاعتبار وجوده هنا.

هدئت الضجة قليلا فغضب عزرائيل وأمر بإحضار الشاهد التالي و الأخير وهو رضوان حارس الجنة السابق وقتها أحس سوريل بالسعادة و صرخ أمام الناس قائلا:

– هذا هوا الدليل الدامغ الذي يحدد صدق المتهم وتبرئته من كل التهم المنسوبة إليه أنت يا رضوان أنطق ما علمك به ربك من قول الحق فنحن السلالة الطاهرة بينما هم منافقون ودجالون وخونة ضرب جبريل بالمطرقة بعنف وأمر المحامي بالتزام الصمت والشروع في سؤال الشاهد وبسرعة نظر عندها سوريل إلي الشاهد بخبث لكن قبل ذلك صديقي القارئ ربما أنت ترى تضاربا في مواقف سوريل وخصاله وسبب ذلك هوا أن طوم قام برشوة المحامي مقابل خروجه من هنا وأعطى حصة أيضا لرضوان لكن سوريل احتفظ بهذه الحصة لنفسه لذلك شعر رضوان بغضب شديد ورغبة في الانتقام وقال:

– لقد جاء هذا الشخص وقام برشوتي .

بهت الحاضرون وانفعل سوريل وضرب رضوان وقتها أمر ميكائيل بسجن سوريل لأسبوع في سجن المحكمة مع خطية ثلاث مئة حسنة استغل رضوان الفرصة وجثي على ركبتيه وأتم كلامه قائلا:

– كنت شخصا طيبا يا سادتي وفقيرا أعمل مقابل حسنات أعيل بها أبنائي الصغار إلي أن جاء هذا الفتي وطلب مني أن افتح له باب الجنة ليرى ما بها لكنني رفضت ذلك وفقا لما يليه عليا ضميري لكن بعد إلحاح كبير عرض عليا مبلغا كبيرا من الحسنات حتى ارتكبت المعصية سامحوني وأعيدوني إلي عملي أرجوكم إني فقير وعائلتي ستموت جوعا إن لم اعمل. أتم حديثه وقام باكيا عندها رقت كل القلوب لحال المسكين وأضاف:

– أنا واثق من استقلالية ونزاهة القضاء ووافق من حنان ولطف السيدين العظيمين جبريل وميكائيل ومسامحتي وإعادة حسناتي .

بعد إلحاح من المستمعين وخاصة الأغلبية الذين أثروا على مواقف جبريل وجبريل نفسه الذي أحس بالعظمة وقت تمجيد رضوان له فوافق فخرج مزهوا شامتا علي حالتي ومصيري نضر إلي ميكائيل وقال:

– أليس لك شيء لتقوله طوم؟.

نظرت إلي الحضور نظرت متضرع وقلت:

– أنا مظلوم يا سادتي الويل لنفسي ولفضولي ما أنا غير إنسان أسعى إلي المعرفة ومعرفة المجهول و الغوص في غمار حياة لا تخصني أنا غبي لو أني لم أقترح الرحلة البحرية لما قتل الجميع ولما وجدت في جزيرة أنا ورفاقي وذقنا كأس المرارة إلي أن ارتوينا أنا حقا شخص أحمق وفاشل لو كنت حكيما ومؤمنا بما فيه الكفاية لصنعت أسطورتي الخاصة آنا مستعد لأي قرار تتخذه سيادتكم . كان لحديثي وقع كبير أكثر من حديث رضوان بكثير قرر القاضيان راحتا للتشاور في الأمر مرت خمس دقائق حسب لا اشتهي كسلحفاة تتأرنب أو كشخص ينتظر رن الجرس بعد ساعة رياضيات مملة دعينا إلي الدخول كان الجو قد انقلب تماما فمنها من أصبح يتضامن معي هناك من لم يتأثروا أصلا بحديثي نظر نحوي ميكائيل وقال:

– طوم أيها البشري الغريب وفقا لكلام الشهود و المحامين ورغبة الحاضرين أيضا فأن حكمي هوا كالأتي عودتك أنت وأصدقائك إلي العالم الحقيقي ويعود بكم الزمن لتعيشوا مع عائلتكم بسلام يكفي ما عانيتموه ولكن لتعلم أنت و معشر الإنس جميعا ان القضية ليست شيئا سهلا يسهل التضامن معه القلب الصافي و الأخلاق الحميدة وعدم التراجع في المبادئ فالقيم و القوانين تتغير لكن المبادئ ثابتة . صفقت الملائكة و أنا معها وفجأة أحسست بيد تمسكني وصوت يناديني لكن لا اثر للشخص انقلبت الأوضاع صياح الديك هوا الصوت المهيمن على مجال سمعي ممتزجا بصوت حنون يخبرني بضرورة النهوض إنها صوت أمي يدعوني بكلماتها الحنونة قائلا:

– طوم قم يا كسول سيفوتك الدرس لقد تعبت من إنهاضك كل يوم .

أفقت من غيبوبتي فوجدت نفسي في غرفتي الجميلة يا لي سعادتي احتضنت والدتي حضنا لم يشبع فرح لقيآها من جديد كأني كنت مغتربا لآلاف السنين أخبرتها بكل ما حدث فضحكت ملئ شدقيها وقالت:

– كل تلك المغامرات في ليلة واحدة حقا أنت ذكي وخيالك واسع لديك مستقبل واعد في الكتابة .

نظرت بعتاب وأضافت:

– قم يا كسول فناندیني تنتظرك يا لها من فتاة رائعة لقد بقيت تنتظرك قرابة نصف ساعة .

أسرعت نحوها و أمي تبتسم لم اقدر حتى على تناول فطور الصباح رغم جوعي إلا أن شوقي للقائها طغى على كل حواسي وكالعادة سقطت أمامها فضحكت هي الأخرى وأخبرتني أن والدها غاضب مني لأني كسرت نافذة غرفته تجاهلت كلامها لأن موضوع النافذة بقي يتبعني حتى عالم الغيب يا لي جمالها أكنت أحلم أم أن ميكائل مسح ذاكرتنا أمسكت يدها كأن شيئا لم يكن أما أنا يا صديقي القارئ فقد حضي طوم بنهاية جميلة أما بالنسبة لي فقد حظيت بتمام روايتي ومن هنا تبدأ مسيرة الأدبية الطفولية فأمضي غريب في ذاتي أحدث الأقحوان والنورس و الكتاب لذا أدعكم يا رفاقي فأنا كتوم لدي موعد دراسي ويوم حافل وحبيبة تنتظرني.